

* فضل حسن الظن بالله ودم سوء الظن به *

[الخطبة الأولى]

الْحَمْدُ لِلَّهِ اللَّطِيفِ الَّذِي بِلُطْفِهِ تَنكَشِفُ الشَّدَائِدُ، وَبِحُسْنِ الظَّنِّ بِهِ تَجْرِي الطُّنُونُ عَلَى أَحْسَنِ الْعَوَائِدِ، وَبِالتَّوَكُّلِ عَلَيْهِ يَنْدَفِعُ كَيْدُ كُلِّ كَائِدٍ، أَخْمَدُهُ سُبْحَانَهُ وَحَمْدِي لَهُ مِنْ نِعَمِهِ، وَأَشْكُرُهُ فَهُوَ الْمُتَقَضِّلُ عَلَى عِبَادِهِ بِأَنْوَاعِ النِّعَمِ وَالْفَوَائِدِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، فِي كُلِّ شَيْءٍ لَهُ آيَةٌ تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، صَاحِبُ الْأَصْلِ الْمَاجِدِ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِهِ وَأَصْحَابِهِ الطَّاهِرِينَ الْمَعَادِيدِ.

أَمَّا بَعْدُ: فَيَا أَيُّهَا النَّاسُ: أَوْصِيكُمْ وَنَفْسِي بِتَقْوَى اللَّهِ، فَهِيَ خَيْرُ لِبَاسٍ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: إِنَّ مِنْ أَعْلَى مَقَامَاتِ الدِّينِ الْعَدِيدَةِ، وَأَجَلِّ خِصَالِهِ الْحَمِيدَةِ: إِحْسَانُ الظَّنِّ بِاللَّهِ - جَلَّ وَتَقَدَّسَ فِي غَلَاهُ -، فَإِنَّ اللَّهَ عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِهِ بِهِ، فَلَا يُخَيِّبُ أَمَلٌ أَمِلَ، وَلَا يُضَيِّعُ عَمَلٌ عَامِلٌ، فَيَا صَاحِبِي: أَنْ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي». وَفِي رِوَايَةٍ لِأَحْمَدَ: «إِنْ ظَنَّ بِي خَيْرًا فَلَهُ، وَإِنْ ظَنَّ شَرًّا فَلَهُ». وَإِنَّ مِنْ أَشَرِّ مَا مُنِيتَ بِهِ النَّفْسُ: «يَأْسًا» يُمِيتُ الشُّعُورَ فِي الْقُلُوبِ، «وَقُنُوطًا» تَتَحَطَّمُ بِهِ الْأَمَالُ، وَتَدْلَهُمْ بِهِ الْخُطُوبُ، وَتَضِيقُ بِهِ الدُّرُوبُ.

فَ « الْيَأْسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ، وَالْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَتِهِ » مِنْ كِبَائِرِ الذُّنُوبِ، كَمَا قَالَ عَلَامُ الْغُيُوبِ فِي مَعْرِضِ الذَّمِّ لَهُمَا، وَالتَّنْفِيرِ مِنْ سُلُوكِ سَبِيلِهِمَا: ﴿ إِنَّهُ لَا يَأْسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ ﴾ أَيُّ: مِنْ رَحْمَتِهِ وَتَفْرِيجِهِ لِلْكَزَبَاتِ ﴿ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿ وَمَنْ يَفْقَنْظْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ ﴾.

وَكَمْ فِي آيِ الْكِتَابِ وَصَحِيحِ السُّنَّةِ مَا فَتَحَ لِلْعَبْدِ بَابَ الرَّجَاءِ وَحُسْنِ الظَّنِّ فِي ثَوَابِ اللَّهِ وَعَفْوِهِ !! وَأَغْلَقَ بَابَ الْقُنُوطِ، وَجَعَلَهُ يَنْظُرُ كَالْمُتَقَائِلِ إِلَى مُسْتَقْبَلِهِ !! وَذَلِكَ فِي عِدَّةِ مَقَامَاتٍ: (مِنْهَا): مَقَامُ الْإِيمَانِ، وَحُسْنِ الظَّنِّ بِعَظِيمِ الثَّوَابِ لِأَهْلِهِ مِنَ الْمَنَانِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ ﴿ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ مُعْرِضُونَ ﴾ الْآيَاتِ.

(وَمِنْهَا) مَقَامُ التَّوْبَةِ، وَحُسْنِ الظَّنِّ بِوَسْعِ الْمَغْفِرَةِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ فَمَهْمَا عَظُمَ ذَنْبُكَ، إِيَّاكَ إِيَّاكَ أَنْ تَقْنَطَ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّكَ !! (وَمِنْهَا) مَقَامُ الدُّعَاءِ، وَالْإِيْقَانِ بِالْإِجَابَةِ مِنَ الرَّحْمَنِ، قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾.

(وَمِنْهَا) مَقَامُ حُلُولِ الْأَجَلِ وَظُهُورِ الْوَجَلِ، فَعَلَيْهِ أَنْ يَعْظُمَ رَجَاؤُهُ فِي عَفْوِ رَبِّهِ، قَالَ ﷺ: « لَا يَمُوتَنَّ أَحَدُكُمْ إِلَّا وَهُوَ يُحْسِنُ الظَّنَّ بِرَبِّهِ » رَوَاهُ مُسْلِمٌ.

(وَمِنْهَا) مَقَامُ حُلُولِ الْمَصَائِبِ الْمَلِمَاتِ، وَالْمُسْكِلاتِ الْمُغْضَلَاتِ، كَالدُّيُونِ وَالْأَمْرَاضِ وَالْفَقْرِ، فَعَلَى الْمُؤْمِنِ أَلَّا يَيَاسَ مِنْ رُوحِ اللَّهِ، بَلْ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُحْسِنَ الظَّنَّ بِاللَّهِ، فَإِنَّ أَمْرَ الْمُؤْمِنِ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ: إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَاءٌ شَكَرَ فَكُتِبَ مِنَ الشَّاكِرِينَ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَاءٌ صَبَرَ فَكُتِبَ مِنَ الصَّابِرِينَ. وَكَمْ مِنْ بَلِيَّةٍ نَزَلَتْ بِالْعَبْدِ، فَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا يُسْرًا، أَلَيْسَ رَبَّنَا - جَلَّ وَعَلَا - هُوَ الْقَائِلُ: ﴿ سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴾، إِذَا قَلِمَ الْقُنُوطُ مِنْ رَحْمَتِهِ ؟!

أَلَا فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَآمِنُوا بِاللَّهِ، وَأَحْسِنُوا الظَّنَّ بِهِ، وَتَوَكَّلُوا عَلَيْهِ، وَفِرُّوا إِلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَا مَفَرَ وَلَا مَنْجَى وَلَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ.

أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ، وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ لِي وَلَكُمْ، فَاسْتَغْفِرُوهُ، إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا.

[الْخُطْبَةُ الثَّانِيَّةُ]

الْحَمْدُ لِلَّهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَمُصْطَفَاهُ، صَلَّى اللَّهُ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ، وَمَنِ اهْتَدَى بِهِدَاهُ. أَمَّا بَعْدُ : فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ - حَقَّ تَقْوَاهُ، وَأَطِيعُوهُ تَذَرِكُوا رِضَاهُ.

أَيُّهَا الْمُسْلِمُونَ: كَمَا أَنَّ حُسْنَ الظَّنِّ بِاللَّهِ سِمَةُ الْمُؤْمِنِينَ فِي حَيَاتِهِمْ، وَهُوَ مِنْ صَمِيمِ تَوْحِيدِهِمْ، وَأَهَمُّ وَاجِبَاتِهِ، فَإِنَّ سُوءَ الظَّنِّ بِاللَّهِ سُبْحَانَهُ هُوَ صِفَةُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُشْرِكِينَ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: ﴿وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوِّ عَلَيْهِمْ ذَاتُ السَّوِّ﴾.

وَلَوْ تَأَمَّلْنَا أَحْوَالَ كَثِيرٍ مِنَ النَّاسِ لَظَهَرَتْ لَنَا صُورٌ وَأَحْوَالٌ مِنَ الظَّنِّ السَّيِّئِ:

فَمَنْ ظَنَّ بِاللَّهِ أَنَّهُ إِذَا تَصَرَّعَ إِلَيْهِ وَسَأَلَهُ، أَنَّهُ لَا يُعْطِيهِ مَا سَأَلَهُ، أَوْ ظَنَّ أَنَّ اللَّهَ يُضَيِّعُ عَلَيْهِ عَمَلَهُ إِذَا أَخْلَصَهُ وَوَافَقَ أَمْرَهُ، فَقَدْ ظَنَّ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوِّ. وَمَنِ اسْتَهَانَ بِمَحَارِمِ اللَّهِ، مُتَعَلِّقًا بِنُصُوصِ الرِّجَاءِ، لِيَتَّكُونَ حَاجِرًا لَهُ عَنِ التَّوْبَةِ، مُعْرِضًا عَنِ نُصُوصِ الْوَعِيدِ، فَقَدْ آمَنَ مَكْرَ اللَّهِ، وَظَنَّ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوِّ.

وَمَنْ غَلَا فِي الدِّينِ، فَعَمَدَ عَلَى آيَاتِ نَزَلَتْ فِي الْمُشْرِكِينَ، وَجَعَلَهَا فِي الْمُسْلِمِينَ، فَكَفَّرَهُمْ بِذَلِكَ كَحَالِ الْخَوَارِجِ الْمَارِقِينَ، فَقَدْ ظَنَّ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوِّ. وَمَنْ ظَنَّ أَنَّ اللَّهَ يَثْرُكُ خَلْقَهُ سُدًى بِلَا أَمْرٍ وَلَا نَهْيٍ، أَوْ أَنَّ اللَّهَ لَا يَجْمَعُ عَبْدَهُ بَعْدَ مَوْتِهِمُ لِلثَّوَابِ وَالْعِقَابِ، كَظَّنِّ الْمُشْرِكِينَ، أَوْ ظَنَّ أَنَّ اللَّهَ لَنْ يَتِمَّ أَمْرُهُ، وَلَنْ يَنْصُرَ حِزْبَهُ، أَوْ ظَنَّ أَنَّ الْغَلْبَةَ لِلْبَاطِلِ وَأَهْلِهِ عَلَى الْحَقِّ وَأَهْلِهِ غَلْبَةً ظَاهِرَةً دَائِمَةً، لَا يَقُومُ لِلْحَقِّ بَعْدَهَا قَائِمَةٌ، كَظَّنِّ الْمُنَافِقِينَ، فَقَدْ ظَنَّ بِاللَّهِ ظَنَّ السَّوِّ.

أَلَا فَاتَّقُوا اللَّهَ - عِبَادَ اللَّهِ -، وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَا يَتِمُّ لِلْعَبْدِ إِيمَانٌ وَلَا تَوْحِيدٌ حَتَّى يَتَّقِدَ جَمِيعَ مَا أَخْبَرَ اللَّهُ بِهِ، وَجَمِيعَ مَا وَعَدَ اللَّهُ بِهِ، وَكُلُّ ظَنٍّْ يَنَافِي ذَلِكَ، فَإِنَّهُ سُوءُ ظَنٍّْ بِرَبِّهِ، وَنَفْيٌ لِكَمَالِهِ وَنُفُوتِ جَلَالِهِ، وَتَكْذِيبٌ لِحَبْرِهِ، وَشَكٌّ فِي وَعْدِهِ.

عِبَادَ اللَّهِ : قَالَ اللَّهُ - جَلَّ فِي عُلَاهُ - : ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾. اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى عَبْدِكَ وَنَبِيِّكَ مُحَمَّدٍ. اللَّهُمَّ ارْضَ عَنِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرُ وَعُثْمَانُ وَعَلِيٌّ، وَأُمَّهَاتِ الْمُؤْمِنِينَ، وَالصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَاتَّبَاعِهِمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

اللَّهُمَّ أَعِزِّ الْإِسْلَامَ وَالْمُسْلِمِينَ، وَأَذِلَّ الشِّرْكَ وَالْمُشْرِكِينَ، وَأَنْصُرْ عِبَادَكَ الْمُوَحِّدِينَ. اللَّهُمَّ آمِنَّا فِي أَوْطَانِنَا وَأَصْلِحْ وِلَاةَ أُمُورِنَا. اللَّهُمَّ وَفِّ وَلِيَّ أُمْرِنَا خَادِمَ الْحَرَمَيْنِ الشَّرِيفَيْنِ، وَوَلِيَّ عَهْدِهِ الْأَمِينِ بِتَوْفِيقِكَ وَتَأْيِيدِكَ، يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ فَرِّجْ هَمَّ الْمَهْمُومِينَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ، وَنَفْسَ كَرْبِ الْمَكْرُوبِينَ، وَأَفْضِ الدِّينَ عَنِ الْمَدِينِينَ، وَاشْفِ مَرْضَاهُمْ، وَاعْفِرْ لِمَوْتَاهُمْ، يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ الطُّفْ بِإِخْوَانِنَا فِي غَزَّةَ وَفِلَسْطِينَ، وَفِي كُلِّ مَكَانٍ مِنْ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ. اللَّهُمَّ عَلَيكَ يَا يَهُودَ الْمُعْتَدِينَ، وَالْمَجُوسِ الْحَاقِدِينَ، وَأَعْوَانِهِمْ يَا رَبَّ الْعَالَمِينَ.

اللَّهُمَّ مَنْ أَرَادَ بِلَادَنَا وَعَقِيدَتَنَا وَمَقَدِّسَاتِنَا وَقَادَتَنَا وَرِجَالَ أَمْنِنَا بِسُوءٍ، فَأَشْغَلْهُ بِنَفْسِهِ، وَرَدِّ كَيْدِهِ فِي نَحْرِهِ، وَاجْعَلْ تَدْبِيرَهُ تَدْمِيرًا عَلَيْهِ، يَا قَوِيَّ يَا عَزِيزُ. اللَّهُمَّ ادْفَعْ عَنَّا الْعِلَاءَ وَالْوَبَاءَ وَالرَّبَا، وَالرَّنَا، وَالزَّلَازِلَ وَالْمَحَنَ، وَسُوءَ الْفِتَنِ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ، عَنْ بَلَدِنَا هَذَا خَاصَّةً وَسَائِرِ بِلَادِ الْمُسْلِمِينَ عَامَّةً.

عِبَادَ اللَّهِ : ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾. فَادْكُرُوا اللَّهَ الْعَظِيمَ الْجَلِيلَ يَذْكُرْكُمْ، وَاشْكُرُوهُ عَلَى نِعَمِهِ يَزِدْكُمْ، وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ، وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ.